ذَيْلُ الكَلْبِ

مجموعة قصصية

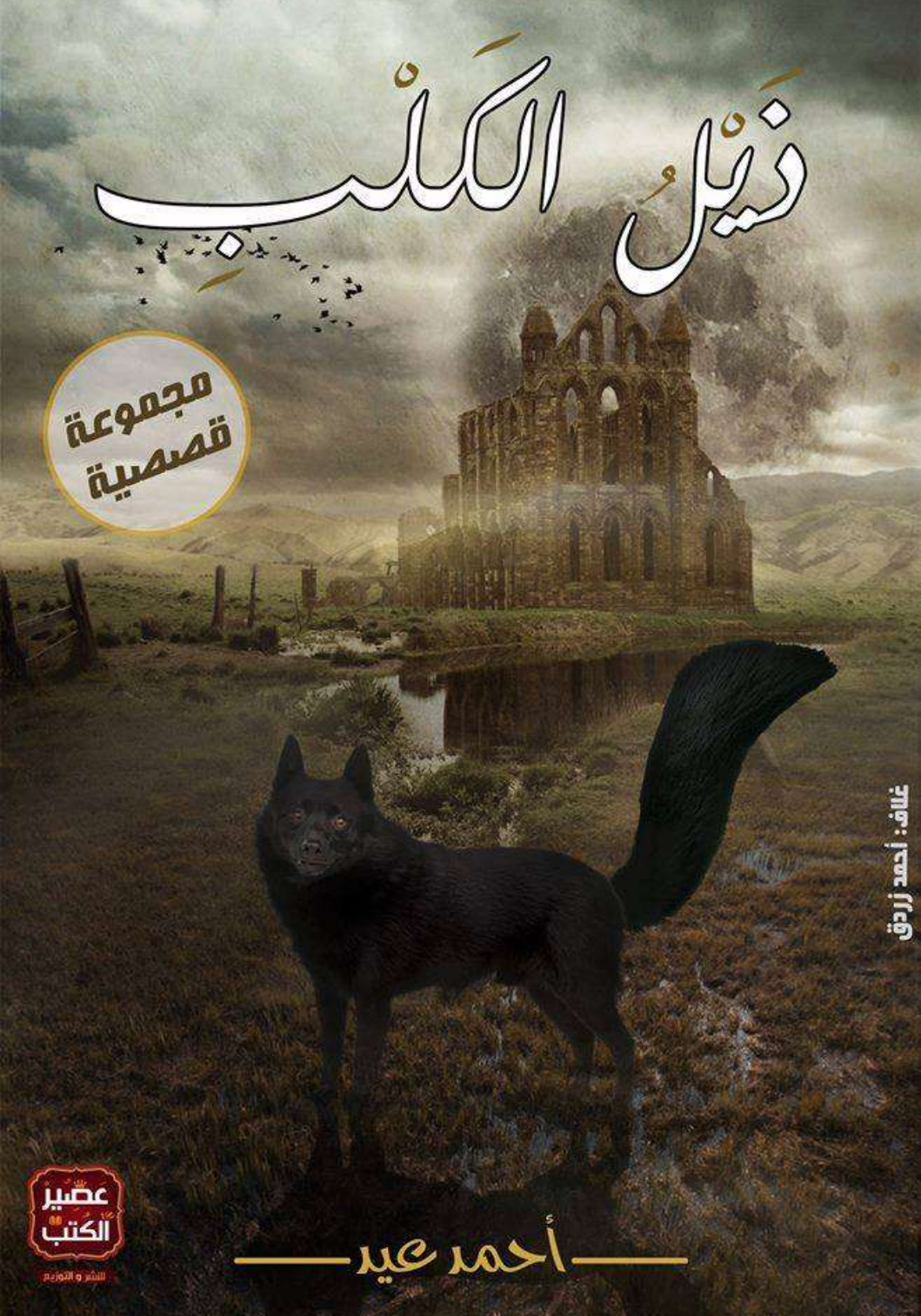

غلاف: أحمد زردق

أحمد عيد

عصير الكتب
للنشر والتوزيع

أحمد عيد

ذيل الكـــلب

(مجموعة قصصية)

جميع الحقوق محفوظة © عصير الكتب للنشر الإلكتروني

http://book-juice.com

ذيل الكلب

المؤلف : أحمد عيد

نشر في : مارس 2016

تصميم الغلاف : أحمد زردق

تنسيق داخلى : عصير الكتب للنشر الالكترونى

إهداء

إلي كل كوب من القهوة ، تحمل معي مشقة الرحلة ..

إلي الشيخ حسني و ياسر كاف .

–١–

تُرفع الستار ظلام .. صمت .. سكون .. عدم .... الجمع مُترقب .. أصوات زجاج يتهشم .. صرخة إمرأة .. صوت رجل يضحك .. يظهر الآن علي خشبة المسرح طفل يحبو.. صوت إحتكاك ركبتيه الناعمتين بالخشب الناعم لا يُسمع .. لا يُسمع نهائيًا .. فيبتسم مُصدرًا ضحكة كهرة صغيرة .... ينفجر الجماهير بالتصفيق الحاد .. فيخاف الطفل و يبكي و يصرخ و يجري من تصفيق الجماهير...حتي يُسدل أحدهم الستار .. و يعود الظلام .. و يرحل الجميع من المسرح .. و تترنح خطوات الصمت المستهترة علي خشبة المسرح المظلم .. و يعُم السكون ليمضي إلي العدم

****

-٢-

منديل ..

خشبة المسرح المتهالكة من وقوف الملايين فوقها تئن بصمت ، أحيانًا حين يخطو أحدهم فوقها تتعالى صرخاتها .. لم تعد تتحكم في قدرتها علي الصمت .. فهذه المرة الستار مُغلق ، لا يوجد سوى مشاهد واحد يجلس في الصف الثالث .. ينتظر بدأ اللعبة ، لكن الخشبة أوهن من أن تتحمل أحدهم اليوم ..لكنها لن ترد صاحبنا بدون أن يشاهد شيئًا اليوم .. أطفئت الأنوار .. فُتح الستار .. الصمت و السكون و العدم .. يظهر رجل مُنهك يبدو كما لو أنه خرج لتوه من العمل ..لم يقف في الشارع أمام مقر عمله كثيرًا ..فبمجرد أن خرج من الباب حتى أنزل الله عليه من السماء ميكروباصًا .. الغريب في زمن ما بعد المعجزات أن الميكروباص توقف أمامه مباشرة و قال السائق (عباسية ، غمرة ، رمسيس رمسيس) و كرر الأخيرة ليجذب البطل بالركوب و الذهاب إلي الميدان المليء بالأشجار ليري المزارع السمكية الثرية بالأسماك و حديقة الحيوان المفتوحة .. فهّم بالركوب دون الإنسياق خلف نداء السائق فهو يسكن في منطقة العباسية القريبة من معبد فيلة و برج بيزا المائل.. و عجلة الحياة أقسمت له منذ أن كان طفلًا ان الميكروباص سيمُر أمام بيته إنها الجنة إذن .. و تدور عجلة الميكروباص تزامنًا مع عجلة القدر لتتوقف السيارة أمام الحسناء صاحبة إحدى المراكز الأولى ضمن تصنيف ملكات جمال الكون .. لتجلس بالصدفة في المقعد الوحيد الخالي بجانبه إنه حقًا عالم صغير .....

عندما جلست الفاتنة بجواره حتي تسلل عطرها إلي أنفاسه ليترك أثرًا عميقًا في نفسه ، شعر بالدم يتصاعد إلي وجهه ليصبغه باللون الأحمر .. شعر بحرارة جسدها الحارقة تحرق جانبه الأيمن بالكامل .. جانبه الذي قام بدور وسيط لنقل الحرارة لجاانبه الأيسر حتي شعر أنه يحترق ذاتيًا ..

تضع الحسناء يدها اليسري في حقيبتها و تُخرج بعض العملات المعدنية لتعطيها لبطلنا المصاب بالإحمرار ليعطيها للسائق فالحسناوات لا يتكلمون مع السائق .. يمد يده لها و تُسقط العملات المعدنية في راحته كما تُسقط الزهرة

قطرات الندي فينهمر سيل من العرق من جبينه العريض .. عندما يجمع المرء العملات المعدنية في الميكروباص ينتابه شعور بالتوتر و الخوف من أن تسقط منه النقود حتي يصدر صوت الارتطام الشهير و قد كان .. بدأ البطل بالإنحناء لأنه تذكر أنه لم ينحني لنا نحن معشر الركاب حين دخل إلي خشبة الميكروباص في البداية و كان الأمر يسيرا فوجد النقود تحت قدمه بسهولة لكنه فوجيء بساقين لم يري في رشاقتهما كما أن الثوب الجلدي كساهما كما تُكسي الألهة اليونانية .. ذاد معدل ضربات قلبه و حاول أن يجمع جسده المُنصهر ليحمي نفسه من الذوبان في بركان حب تلك الحسناء ..

يسند ظهره إلي المقعد فيشعر بقطرات العرق تتبخر تحت ثيابه و عطر الحسناء و حرارة جسدها تُحاصره فيتذكر الحديث الذي دار بينه و بين صديقه عن ظاهرة التحرش و كيف سبّت الفتاة المُتحرش أمام الناس في الحديقة فتدافع الناس من كل فج بعيد ليقدموا العون للمسكينة و يتحرشوا بالمتحرش .. فإنتابته الرهبة من أن تكون الحسناء مُدركة تمامًا لما يدور في خلده منذ أن جلست بجواره .. حاول أن يزيح جسده إلي اليسار ليتفادي شمسها التي تكوي جسده .. تذكر أن قدمه طويلة جدًا فرفعها علي ظهر المقعد الماثل أمامه .. تذكر أن هاتفه الكبير في جيبه فقرر أن يخرجه حتي لا تظن الفتاة أنه يعبث بها و ما إن مد يده حتي لاحت في باله فكرة أن يده قد تلمسها بمحض الخطأ فتسيء فهمه و يكون جزاءه الضرب و السب .. فترك الهاتف و كالعادة إتصل به أحدهم كثيرًا فلم يمد يده إلي هاتفه و لو قامة الساعة الآن لن يلمس الهاتف .. مازال الشك يراوده بأنه قريب منها فحاول الإبتعاد و الإتجاه إلي اليسار و رفع قدميه أكثر و صار يجلس علي ركن واحد فقط من أردافه حتي يتجنب لمس الجبل الجليدي في هذا الشتاء القارس حتي إذ بالسائق يمر بمنحني حاد للغاية فيسقط البطل بين أحضان الحسناء .. مثل إيكاريوس الذي إقترب من الشمس و ذاب جناحه فشعر بأنفاسها الحارقة تلفح خديه و آثار الخدر تجتاح جوارحه لم يفتح عينيه و إنتظر أن يصفعه أحدهم ليفيقه من تلك الغيبوبة المُسكرة .. حمدًا لله نجح السائق في السيطرة على السيارة الشرسة مرة أخرى حتى أن بعض الركاب قاموا بالتصفيق للسائق الذي توقف للحظة و نهض من فوق عجلة القيادة لينحني ليحيى الجمهور .. مازال صديقنا يلهث في الجوار لا أدري تحديدًا هل يلهث لأنه مطارد أم مطارد حقًا تلك الحركات اللغوية قد تلقى ببطلنا في قسم الشرطة .. لا أدري ما الهدف من الحملة السابقة ولا الجملة الحالية لكن ما حدث بعدها كان يفوق الخيال عزيزي القارئ .. الفتاة تفتح فمها و تغمض عينيها و تعطس ثلاث عطسات متتالية حتى لا تترك جزءا من ثياب و وجه الرفيق بدون أن تعمده بمخاطها المقدس .. تعتذر بكبرياء و شفقة فلقد لوثت عالمه بالكامل يهز رأسه في صمت فهو رأي ان في تلك العطسة نوع من الفطرة التي تقاوم بها المخلوقات من يحاول اصطيادها ، بينما يحاول

السباحة في المخاط إذ بالسائق يعطيه منديلا حينما رآه لا يجيد السباحة .. فجفف عرقه المختلط بالمخاط وألقي المنديل من النافذة لتحمله الرياح و يسقط بعيدًا ناحية شجرة خضراء تجلس تحتها سيدة عجوز تبيع المناديل ..

****

-٣-

يسمعون نهيقه ..

خارج المسرح .. يقف وحده كما جرت العادة .. ليس له رفيق .. يخطو بحذر .. ليدخل من باب المسرح الخلفي .. يستعيذ بالله من الشيطان ..يرفع ذيله ليُفسح المجال لروثه أن يُطهر الأرض التي دنسها رواد خشبة المسرح ..يصعد إلي خشبة المسرح يجذب حبل الديكور الريفي .. مشهد القرية الصغيرة و البدر مُعلّق في كبد السماء .. تضحك خشبة المسرح .. يجلس علي مؤخرته في أقصى يسار المسرح .. ينهق بصوت منخفض يُعلن عن إستعداده .. يصمت الجميع في الخارج و تُرفع الستار .. يصفق له الجمهور فهي أول مرة يرون حِمارًا فوق خشبة المسرح ...ينحني بتواضع ليلقي التحية علي الجماهير .. يا سيدي القارئ اللعين فضلًا لا تتحدث أثناء العرض ، حمار علي خشبة المسرح ما الغرابة في ذلك .. هذا آخر تحذير .. أُكتب كل شيء في ورقتك الملعونة و ننتناقش في النهاية .. حسنًا هاهو الحمار فوق خشبة المسرح وحيدًا ، الأضواء جعلت منه نورًا في الظلام ،يُبصر بعينيه الناعستين تحت غطاء الظلام حقل الذرة ممتدًا إلي أقصي الأُفُق ، لا يستطيع أن يبلغ نهايته ببصره ، نسمات الهواء تلوح بعقله ، زجاجات الشراب متوفرة بغزارة حوله في كل مكان فصاحبه كان سِكيرًا ، هو و الخمر و البدر إنه الفردوس ، ليذهب البرسيم إلي حِمارٍ آخر ، كل ما ملئ قلبه أنه صار رشيقًا كفراشة ، رأي الشيطان أمامه ... ينحني الشيطان للجماهير فيصفقون له .. تبًا لك أيها القارئ إن لم يعجبك الشيطان فأغلق الستار و لا تُزعجنا ..هل يمارس الفطرة التي وُلد عليها لكنه ملّ تلك العادة التي ألفها منذ نعومة حوافره ، تصارعت في رأسه المستطيل مشاعر الحيرة حتى كادت أن تُذهب نشوة الشراب من أعمق أعماق قلبه ، فقرر ألا يُصدر أي صوت اليوم يُذهب رحيق الخمر المخِيم علي عقله فأبتسم له الشيطان ..

هامَ في طريقه الذي يحفظه عن ظهر قلب بين حقول الذرة و مزارع البرتقال ، فرأى لصين يتسللان إلي بيت أحد أهل القرية . يتحدثان همسًا عن كترهما الموعود و بريق الثروة التي تنتظرهما و الشيطان واقفًا يراقب لهما الطريق ممسكًا بمنظاره الليليّ..

لعبت في دهاليز عقل البطل التساؤلات ينهق أم لا ينهق ؟ كما قال أحدهم عند شكسبير، متوترًا يرتعد من حِدوَتِهِ حتى أطراف أذنيه الطويلتين لكنه أقسم ألا يُنَهق اليوم ، لن يفسد لذة الخمر ليحرق الله البيت و اللصوص أجمعين ، تركهما و مضي في دربه ، يحفظ الطريق جيدًا كموسيقار يُتقِن اللحن ، سَرى على أربعة تحمله السعادة العارمة يرى أطياف أمامه تتراقص قُبُل عينيه الواسعتين، فيُغلق إحداهما و يُطلق العنان للأخرى مادًا رأسه إلي الأمام من بين طيات الظلام كالصقر في مطاردة غزال شريد ، و إذا بتلك الأطياف تتجمع سويًا فتلتحم إلتحامًا كاملًا لتَتَراءى له أجمل أتان بيضاء رآها في حياته ، إذا بها تناديه ، تشير إليه بذيلها أصفر بصوتها الناعم أيها الأبيض الوسيم هيت لك و بدأ يخطو نحوها محملًا بالغريزة و تعصِفُ بعقلِهِ التروات و ما إن وصل إليها تحولت إلى صخرة بيضاء نظر حوله مئات النظرات، يبدو أن الخمر تمارس الآعيبها الآن ،سمع من خلف الصخرة أنين فحاول أن يسترق النظر علي ما يحدث هناك فرآهما أمامه شاب وغانية يُمزقا سُكون الليل مر عليهما كريمًا فقط بضع نظرات مسمومة و ندب حظه فلو كان خدمَهُ القدر لصار مثل هذا الشاب الآن يضرب لحمارته الفاتنة أروع أمثلة الحميرية و نظر للشيطان بحسرة فهو وحيد ليس له من يداعبه ، ربت الشيطان علي كتفي الحِمار المسكين الذي فاضت الحسرة من عينيه ..

صار بطلنا مُتعبًا ؛الخمر ذهبت بعقله و نهيقه ،خارت قواه تمامًا. حمل نفسه حتى وصل إلي بيته .. رأي الحمير الصغيرة تتشاجر من أجل دمية صغيرة علي شكل إنسان لكنه لم يُنهِق من أجل خطايا البشر فهل يُنهِق من أجل الحَميرالصغيرة ؟

"لم أُنَهِق اليوم" قال لنفسه بكل الفخر شاعِرًا بأنه حقق إنجازًا عظيم يستحق عليه التكريم .

"شكرًا لك يا صاحب الصوت البديع لقد جعلت ليلتي هادئة " قالها الشيطان نافخًا دُخان تبغهُ علي شكل قلب ليغمر الحب المكان.. أعجبه الإطراء " صاحب الصوت البديع" فلماذا لا يُجرب حظه ، و يُغني ليصبح الحمار المغني الوحيد على وجه البسيطة و ما إن فتح فمه الطويل ليطلق العنان لحنجرته تصاعدت أبخرة الخمر إلى عقله عواصف الكُحول تهز رأسه تكاد عينيه تخرجا من رأسه و بدأت أحباله الصوتية في الاهتزاز حتى صدر منه أبشع نهيق عرفته البشرية إهتزت له القرية بأسرها ، صاح جميع المشاهدين أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

ظلام.. ستار ..

****

-٤-

إشارة مرور

يبدأ العرض .. شارع مزدحم .. الناس كأنما أتو ليوم الحشر .. حشرهم اليومي بين أنقاض الحياة التي لم و لن يعرفوا إليها سبيلًا .. إشارة مرور تقف بثبات بين البشر بدون إبتكار فهي تحاول أن تمنع حماقاتهم أن تقضي عليهم .. قالوا فيما بعد أنها نجحت في تقليل نسبة الوفيات بمعدل كبير .. يُفتح الستار و تعالت أبواق السيارات لتحية المشاهدين ..خلف عجلة القيادة يختبئ أحدهم من شرطي المرور الذي يشير إليه بالعصا الشهيرة ..فيتوقف السائق فهو شخص مُسالم لا يعصي لشرطي المرور أمرًا ... فالطريق مغلقًا أمامه وخلفه الآن .. ..لا يرغب في عداوات بدون داعي .. عداوة قد تكلفه مخالفة يدفع ثمنها باهظا .. فتوقف ، أقلع عن السير ..أثناء سيره ناظرًا إلي الذي يُنظم الطريق .. مرّ بجواره شاب بسيارته الحمراء ذات الأربعين حصان .. تحملها الرياح لكن لم يشر إليه الملعون .. انطلق في سباق مع الزمن يدهس الأرواح .. لكن كان لدي بطلنا عادة ما ألا و هي النظر إلى الطريق من خلف دخان تبغه اللعين العابث الذي لا يعترف بقواعد الطريق .. دوت صرخة مرعبة ألقت في نفسه الأهوال .. أنها صرخة رجل مُسن يسمونه الاجتهاد مثلا أو الصبر أو الإيمان لا يعرف انا مجرد شخصية يحركها المخرج المجنون ، هو يعرف أكثر منه ، علمه أعظم منه بكثير .. لن يخالفه و يخرج عن النص فقد يجعله يلعب دور عامل قمامة أو حتى كلب أو قطعة من روث الخيل .. لا يُهم الآن فالرجل المُسن يعوي كالمسعور ، انينه بلغ عناء السماء .. ترجل عن سيارته المكبوح جماحها ..

..ما الأمر سيدي ؟ لا شيئ البته يا ولدي أنه العبث المطلق .. السيد مُنظم المرور سمح لذوي السيارات الفارهة بالمرور و تركني دون أن يكترث لي ، مجرد ما لاحوا في الأفق فتح لهم الطريق .. تبّا له .. قالها و اليأس يسيل من بين رموشه التي انهكها الصبر

..تبًا لكم جميعًا قالها للعجوز و لشرطي المرور و السيارات الواقفة من حوله .. يعود البطل إلى سيارته مرة أخرى و ينتظر

حتى يسمح لي ابن الغانية بالمرور .. و فجأة تمر سيارة حمراء مُنطلقة ..تصيب البطل بالعمى لا نعلم بسبب ضوءها ، أم بسبب سبابه للشرطي

و قتل شرطي المرور الكاتب و لم نعرف نهاية تلك القصة حتي الآن ..

****

–٥–

جسدها

خارج المسرح .. وقفت سيدة تعوي حملوني من كل شبر في جسدي ، يعبثون بي كما يشاؤون ، و انا مثل الدمية لا أقاوم ، فتحوا الباب فرأيت الظلام المطلق من بين فتحات ثوبي الرديئ ، اسود للغاية لا يوجد أثر لشعاع ضوء مر من زمن بعيد في هذا النهار الكئيب ، بدؤوا يدفعونني و يلقون بي كأنهم يحملون شيئ قذر . لم أدر من أين واتتني تلك القوة ، مزقت ذلك القماش المهترئ ، و خرجت لهم كجبل عظيم ، جبل ملامحه حادة ، و ما ان صفعت أولهم على وجهه ، رأيت الجميع يطلقون سيقانهم للريح .. أريد ثيابًا لأعود لبيتي لا أستطيع السير هكذا.. لماذا تركوني وحيدًة ! انا اخاف الوحدة.. وحيدة كنا ولدتني أمي.. هل اسأل أحد السكان ان يعطيني ثيابه ؟ لا يبدو لي حلًا جيدًا . لا أستطيع اقتحام حياة أحدهم هكذا.

حسنًا سأدخل إلى تلك الحفرة السوداء و أغلقها ورائي .. ربما فتحها أحدهم يومًا ما و عندها سأطلب منه الثياب .إنتابتها رعشة بسبب ريح عابرة .. حملت ورقة شجر و صعدت بها إلي عنان السماء ..

ايقاع صياحها لم يصل إلينا بداخل المسرح فهي مُجرد عجوز لها وجهًا مُستطيلا ، عمرها قارب السبعة آلآف فقط .. أطفأت الأنوار و فُتحت الستار.

****

-٦-

طيور الجوع

انا مريض هذا كل شيء ؛ كلما أكلت شيئا لا يزيد وزني ، نحيف مثل قدم طفل رضيع ،لا يحتاج الأمر إلي خبيرًا في الإحصاء ليعد ضلوعي البارزة ، حاولت أن أزيد وزني بشتى الطرق لكن لم انجح في زيادة وزني غرامًا .. سترتي تُخفي ضلوعي عن أعين الناظرين ، نصحوني بالذهاب إلي الطبيب ؛فذهبت ؛ ربما نجح في كشف حقيقة مرضي ،عاريًا أقف أمامه ، وحيدًا تحت الحصار، نظراته تصطدم بجسدي و تسقط تحت قدمي فأخطو فوقها دون شفقة صاعدًا إلي الفراش يخرج سماعته من المقبرة و يتركها تتجول علي صدري بحرية ، كم هو مهين أن تخلع ثيابك و تصير أعزلًا أمام من ينتهك حرمة جسدك بكل إستهتار ...

ماهذا الهراء ؟ قالها بخفيفه تاركًا حيته تسعى عائدة إلي قبرها مرة أخرى..

هززت رأسي و أبقيت الكلمات حبيسة في جوفي ..

قال لي سمعت صوت طيور !!

قلت له انا لم أتناول أي طيور منذ مدة .

أمرني بالوقوف خلف شاشة ما

قال انظر هناك ثلاث نسور يعيشون بداخلك مشيرا إلى الشاشة.

فعلا رأيتهم ، كانت مناقيرهم مدببة معكوفة لينهشوني بقسوة ،أسود كان لونهم ، ظهرت أمامنا على الشاشة الأم العملاقة التي عادت لتوها من رحلة صيد و رأيتها تحمل قلبًا نابضًا في منقارها ، أعلم أنه قلبي ،فهو كان صغيرًا لكن ينبض بقوة .

قال الطبيب حالتك ميؤوس منها ، لن تصبح شخصًا بدينًا أبدا ،ستظل تلك النسور تراوضك كل ليلة ، كل يوم ، كل ساعة ، كلما دخل شيء إلي جوفك ستبتلعه قبل أن يصل إلي معدتك سيتمكن كل من يراك ان يخبرك بعدد عظام قفصك الصدري . حاول أن تتخلص منها.

قلت له لا تقلق .. فتحت صدري ، أطلقت سراح النسور فلاجدوي من بقاؤهم بداخلي بعدما اكتشف حقيقتهم ، رأيتهم يُحَلِقون بعيدًا و يحملون بمخالبهم جسد نحيف إلي قبر كُتِب عليه إسمي .

****

-٧-

في حر الصيف

أنبتت جبهتي حبوب العرق، فشربتها الشمس، لكن الليل مازال بعيدًا، والخيل تجري وتعرف بحوافرها من حولي لحنًا لا أدركه، الألم كان يُحطم أعصابي، نايًا حزينًا يأن في أذني يمزق قلبي، عيني تري أشياءاً تمضي إلى الظلام، تمضي إلى نهايتها وفناءها وعدمها، لكن طنين النحل يدمر عقلي..

صوت ارتطام النحل بجمجمتي الفارغة كان مدويًا، وكلمح البصر شجرة نبتت فوق رأسي، تقف عليها الغربان السوداء.. تنظر إلى العالم من حولي لكنهم خائفين فزعين مرتعدين، أجنحتهم السوداء تخاف أن تبدو بيضاء أمام شرور الغربان الأخرى ...

وقفت وحيدًا أحمل الشجرة والغربان.. عبئ ثقيل لكن قدمي كانت قوية وسعيدة في صمت الليل المزعج، قررت أن اقضي على آلامي، أخرجت عصًا من جيبي وبدأت أبعد بها الغربان، فطاروا بعيدًا نحو القمر

وها هو مشهد النهاية، انا والشجرة الخبيثة، أخرجت فأسًا من خلف ظهري، احمله معي دائما، وحششت جزعها، سقطت أمامى هامدة لم تتحرك بعدها، الآن فقط صار الألم محتملاً، مسكت جذورها بيدي وبدأت في لفها وسحبها، الجذور كانت ممتدة، تسللت إلى شريني فاتحدت مع جذوري التي يسري فيها الدم.. إذا نجحت في هتك تلك الجذور، سأتخلص من الألم وربما الحياة أيضا..

و لم يحضر ملك الموت في هذا اليوم ..

****

-٨-

حقيبة ..

الجو كان قارسًا حقًا في ديسمبر هذا العام ، و لكن ما الجديد فديسمبر دائمًا هو ذروة الشتاء ، الجديد هذه المرة هو أنني قررت السفر إلي" م" فبدأت في إعداد حقائبي التي قررت أن أملئها بالملابس الشتوية الثقيلة ، و ما إن انتفخت الحقائب بالثياب الصوفية ، حتي بدأت في إغلاق الحقائب حتي أبدأ الرحلة ، لكني لاحظت شيئًا مريبًا ألا و هو أن الثياب خرجت من جميع جوانب الحقيبة ، أعدتها مرة أخري و ما إن هممت بغلق الحقيبة مرة أخري حتي وجدت الثياب تنظر لي من داخل الحقيبة ، لا أدري لما شعرت أن الثياب ترفض الرحيل ، لا أفكر كثيرًا في مثل تلك الأمور .. فنزلت لأبحث عمن يساعدني في إعادة الثياب إلي داخل الحقيبة و غلقها جيدًا فلمحت إمرأة بدينة للغاية علي قدر من الجمال ، ذلك الجمال الذي يجب كبح جماح النفس أمامه ، يبدو أن لديها قدرة علي غلق الحقائب و في نفس الوقت تسلل إبليس إلي عقلي ليخبرني أن الثياب ستستغيث إذا ما جلست تلك العملاقة فوق الحقيبة و سأتمكن من غلقها بكل ليونة و يسر . عدنا إلي الغرفة و الثياب قد توقعت الأحداث حين لَمَحَت السيدة ذات الأرطال البيضاء فإستسلمت ، و جلست المرأة فوق الثياب حتي سالت أنهار من سوائل غريبة من الحقيبة ، عرفت فيما بعد أنها نزيف الثياب التي قتلها الزحام داخل الحقيبة ، شكرت السيدة و حملت حقائبي الثقيلة بصعوبة .. خطواتي أنا و حقائبي ترن فوق شوارع المدينة الخالية .. رأيته ينظر تجاهي من خلف أحد الجدران القديمة تعرفت علي وجهة بسهولة فمازالت ملامحة ثابتة حتي بعد مرور كل تلك الأعوام .فنظرت له و نظر لي و إنصرفت .. الخطوات تحملني معها إلي عالم آخر لا يوجد فيه سوى أنا و ثيابي .. لمحته يتسول في الخلفية قالت عيناه لم الرحيل، قلت له سأمضي أنا و ثيابي إلي مكان بعيد عن هذه المدينة ، فنحن لا نقدر علي تحمل صخب العيش هنا

.. جلست علي المقهي و تحدثت و دخنت و كتبت شعرًا و قرأت عليهم قصيدة ، و قمت من مجلسي و ظلوا جالسين .. إنصرفت و لم ينظروا إلي ظهري أو يسترقون السمع إلي صدى خطواتي .. ودعت القمر في آخر ليلة لي هنا و شاهدت إنعكاسات القمر علي حقائبي لآخر مرة هنا .. دخلت إلي محطة القطار و رأيت المارة مسرعين في طريقهم إلي مكان ما .. مازالت الحقيبة ثقيلة ، ركبت القطار فصرخ متألمًا حين وضعت الحقيبة بداخله .. فقررت أن

أريحه من العناء فتركتها علي الأرض لن أحملها معي فلأذهب وحدي بدون حقيبة ، فالبدايات الجديدة أفضل بدون حقيبة من الماضي..إنطلق القطار لكني نسيت أن أضع أمي في الحقيبة الكبيرة .. و سد الأطفال آذانهم حين مر بجوار قريتهم القطار ..

****

-٩-

ساعة متأخرة من الليل

صدرت من القبو المظلم بين شفتيه ليلًا :لا تكرهني ؛ آآ !!!

قاطعه ببرود :أنا لا أحب أحدًا

كرر بهدوء و لا مبالاة :لا تكرهني ؛أنا سافل مثلك. لا و لم و لن اطلب منك أن تحبني ؛انت حقير للغاية .. مشيرًا إليه بسبابته..

حسنًا مادمت حقيرًا لم توجه إليّ كلماتك ؟

لأن لا أحد يقف أمامي في المرآة سواك .. هذا يجعل حديثي إليك مُبررًا !

ما هو الهدف من حديثك إليّ لا أرى سوى المزيد من الوعظ و النصح الذي يصيبني بالملل ..

لا عليك ، كل ما لديك عندي نصيحة واحدة .. فهي حق ما قد نسميه شراكة في جسد واحد كما أنني لا أحب هذا النوع ..

أشعر أن رأسي يوشك على الإنفجار ، لم كلما هممت بالنسيان و ابتعدت عما مضى خطوة تحملني إلى ذكرى سخيفة ، غير مرغوب فيها ؟

لا يا عزيزي ليست ذكرى بعد ، الذكرى هي كل ما طواه الزمان في الدفتر تحت إبطه لكنها مازالت حية تسعى ... لو تحريت الدقة لوجدت ما أعطيته إسم ذكرى مازال ينبض بالحياة ..

يا عزيزي أرى كلماتك فارغة من المعاني، لها دوي كصفيحة فارغة ما إن نطرق عليها حتى تملأ الدنيا صخبًا ..

حسن سأكررها أمامك ثانية و أعدك لن تكون الأخيرة . حينما تخطو بداخل رأس طفل صغير تذكر أن تخلع عنك ثوب العفة ، كل مرة نفعل هذا الأمر تغدو بعدها كالطفل الصغير تملأ الدنيا نحيبًا .. لقد وثقنا ميثاقًا غليظًا لن تُخمد نيرانه مهما فعّلت .. هل نسيت فعلتنا البكر حينما فعلناها مع إبنة صاحب المحل الصغيرة ؟ هل نسيت حين كنت تُلقي النقود على الأرض أمامها حتى تنحني أمام شهوتك المريضة أيها المختل ؟!!

توقف عن هذا الهراء أنا لن أسمعك ....

وقف أمام المرآة واضعًا يديه على أذنيه ... يرتعش كأفعى قطعوا ذيلها .. كوتر عزف عليه الشيطان. يإن ، يُصدر صوتًا كالنحيب من جوفه ، ينظر إلى الأرض أو السقف لا يُهم ، تصدر نغمة موسيقية من مكان ما يليها صوت الارتطام الشهير و تهشم شيئ ما ، و صوت خطوات صغيرة تمزق عتمة الليل ، هذا المشهد المألوف يا عزيزي القارئ لن اطيل في الخوض في تفاصيل انت تعرفها جيدًا ..... تفتح الباب عليه و تدخل بدون استئذان .. مُرتدية ما يُثير الرجال إذا ارتدته فتاة لها ثلاثة أضعاف عمرها ..

يا عمو أنا أريد تحويل القناة هذا الفيلم صار مملًا فكل الممثلين عرايا و لا أطيق رؤيتهم هكذا أريد قناة الرسوم المتحركة ... ياااه أنت نائم !!! حسنًا سأعود غدًا لنشاهد الكارتون سويًا ،قالتها و عادت لبيتها فعروستها مازالت مستيقظة حتي تلك الساعة المتأخرة من الليل .

****

-١٠-

لكنهما تآلفا ..

اليوم رأيت موقفا شبه مستحيلًا أثناء ذهابي إلي أحد المطاعم بعد يوم العمل الشاق هذا، رأيت طفلاً مريضًا يسير بين الناس و كلما نظر لأحدهم بإبتسامته المشرقة بادله بنظرة خوف ورعب كأنما هذا الطفل المسكين جاء ليهتك عرضه .. أو يتحرش به

وكانت قدم الطفل ثقيلة للغاية فهو يمشي بصعوبة بالغة تشعر أن نظرات الناس تقيد يدى هذا المسكين وتربط قدميه معًا.. ظل المسكين يجول المكان ولم أرفع عيني عنه حتي إن عيني بدأت في الدموع لما شعرت بما يعاني منه هذا المسكين من قسوة من الناس.. صارت قلوب الناس لا تعرف الرحمة.. هذا الطفل لو كان مصابا بالإيدز لعامله الناس بطريقة أفضل من هذه القسوة المفرطة.. هل جزاء أن أبتسم في وجهك أن تعاقبني بنظرة قرف أو خوف؟

صرت أكره البشر.. كلمّا رأيت أحد المساكين ورأيت تعامل الناس معه صرت أبكي من قسوة الناس.. قررت أن أدعو هذا الطفل لتتناول الغداء معي فصحبته لن تضرني بقدر ما يفعله الناس معه، فقلت إن الله رحيم فلما لا يتعامل الناس برحمة معا.. فقط بمودة وإنسانية .. فقط نزع الله الرحمة من قلوبنا لأننا صرنا لانرحم ..

وأخذت أولي خطواتي نحوه فرأيته قد إقترب من شاب يحمل طفلا صغيرًا.. وها هو ينظر للطفل الصغير ويبتسم له ابتسامه بعرض وجهه من الأذن للأذن.. والطفل الصغير يبادله إبتسامه مشرقه هو الآخر أضاءت المكان كله .. ربما أضاءت الكون .. ولكن العجيب هو تصرف الأب الذي لم يخف علي ولده من هذا الطفل المريض.. تعجبت هذا أول شخص لا يخاف من هذا الغلام .. هل يكره طفله ليتركه يضحك لإنسان مريض ؟تبدو معركة شيقة .. إقتربت أكثر حتي لا أفوت أي كلمة من المحادثة بينهما ، أخذت أسرع الخطي و لكن للأسف هاقد رحل الغلام و ترك الأب

و طفله لم يهتك عرضهما ولم يسرق أموالهما و لم يتحرش بهما و لم ينقل لهما البله .. هم كما هم لم يفقدوا شيئا و لم يكسبوا سوي إبتسامة هذا الطفل.

لا أدري لما قررت ترك الطفل المريض يمضي وحده وحملتني قدمي خلف الشاب وإبنه كنت مؤمناً إنني سأرى المزيد من الإنسانية معهما، المزيد من الإحسان، رؤية الإنسانية التي ستروي ظمئي

و لكن الدنيا صغيرة جدًا فبعد ما مشينا قليلاً ظهر الطفل المريض مرة أخري ولكنه هذه المرة إقترب منهما كثيرًا .. كنت أنتظر أن يضجره الأب خوفًا علي طفله الصغير ولكن العكس تماماً فإذا بالأب يعطي الولد المريض إبنه ليحمله و يداعبه.

رأيت وجه الولد المريض يرتعش من الفرحة ويضحك ويتحرك وجهه في توتر بالغ من السعاده.. ويضحك الأب من قلبه .. والطفل الصغير يصدر أصواتًا من السعاده .. والطفل المريض يضحك من قلبه .. الطفل المريض أحَبَ الطفل الصغير ..

وها هو الأب يقول له " عقبالك" ،
فتزداد رعشة الطفل المريض الضاحك ويقول " أنا ؟ أنا ؟"

ويرد الأب " أيوة أنت، ربنا يرزقك بطفل مثله"

يضحك الطفل برعشته التي صارت مثل وتر الكمان .. ويعطي الشاب الولد الصغير .. ويبدأ في أن ينصرف ويمضي نحو الأمل .. ولكن رأيت الطفل بالكاد يستطيع المشي من الفرحة ويمشي بصعوبة .. يحرك قدمه بمحاولات عسيرة .. لا يستطيع التحكم في خطواته من فرط السعادة والسرور .. وأنا أقف وحيدًا أتأمل المشهد دمعت عيناي .. لمحت

الأب يضم طفله بحنان .. ثم فجأة رأيت الطفل المريض يدير وجهه للأب وإبنه ويشير للطفل وداعاً يليح له بيديه بقوة، يضحك ويرتعش، يتمايل يتمايل.. لا يسيطر علي أعصابه.. يشير له الأب والطفل الصغير وأنا أيضا .. كأنما فنان قدير أنهي دوره علي خشبة المسرح يودع جمهوره .. ولكن العجيب فطرة الطفل علي الإنسانية .. الطفل أخذ يشير له " باااااي " يودعه ومازال الطفل يلوح للغلام الآخر يلوح له بيديه، الطفل لم يدرك أن الولد حمل قدميه بيديه و سار بعيدًا لكنه مازال يودعه.. غاب عن أبصارنا لكن الطفل الصغير مازال يودعه .. رحل و تركنا نبكي لكن الطفل الصغيرمازال يودعه.

رأيت الأب يبكي.. يحاول التماسك وحبس دموعه في عينيه .. أنا أيضا كنت أبكي لكنني أطلقت العنان لدموعي ..فقط الأنسانية علي يد طفل لم يبلغ من العمر عامين..

****

-١١-

نطحة الدُخلة ..

نطحة الدُخلة سُنة الحياة يا عزيزتي قلتها مُبتلعًا دموعي . إبتسَمَت إبتسامةً تُزينها الدموع ،و قالت لي الحمد لله ، أن الخالق وهبنا طول العمر حتي نرى إبنتنا الوحيدة في هذا اليوم .. سألت نفسي ما معني سُنة الحياة ؟ لكن نَفسي فضّلت الصمت ، حتي لا تُجيب بما لا يرضيني فتكون نهايتها علي يدي .. ثوبها الأبيض يتلألأ كأنه البدر ، رشيقة و جميلة و فاتنة ، أحسد الوغد الذي إختطفها مني .. ثوبَك رائع للغاية اليوم ، لكن كان من الأفضل أن نغسل الجزء السفلي لأنه مُغطي بالتراب الذي جعل لونه أميّل للرمادي .قالتها زوجتي جادة للغاية .. تبّا للنساء جميعًا ..حتي في أعتي وأسوأ الظروف تهتم بمظهري ، أنا لا أفهم النساء ،قلتها بدون صوت ، فأنا لا أفهم النساء لكني لا أحب غضبهنّ .. وضعت رأسي علي رأس زوجتي و كأنما نُشاهد شريط ذكريات صغيرتنا التي جاءت الكون عارية ، و بدأت في البكاء ، ثم مرورها بمراحل الحياة حتي صارت كالفرس يتهافت عليها الشباب في قريتنا الصغيرة .. تبادلنا الدمعات ، يقولون في العرف عندنا .. أن في هذا اليوم بعد إنتهاء تلك المراسم علي الأب و الأم عند العودة إلي البيت القيام بطقوس ليلة الزفاف الأولي ، يالها من مُهمة عسيرة لكني أري فيها من التفاؤل ما يُغطي علي لحظة الفراق طفا شبح إبتسامة علي وجهي المُرهق ,انتشلني من بحر أفكاري العابثة صوت الرجال ، فهاقد وصل آخر الحضور ، إنه صاحب الليلة من سيُلبي رسالتي أنا و زوجتي ، رسالتنا التي خُلقنا لأجلها .. حمل إبنتي بلهفة ، و نظر لي نظرة إمتنان ، و هزّ رأسه لزوجتي الأنيقة ، حياها تحيذة تليق بسيدة ، و أشار بيديه إلي أصدقائه ، و إقتربوا منه ينهامسون و يضحكون ، الأوغاد يعرفون السرِ ، في هذه الأيام صار للشباب أقاويل يندي لها جبين المرء.. تناولوا بعض الأدوات و الحبال .. فإن لتلك المراسم طقوس ثابتة .. معروفة للجميع هنا .. و بدأ الشباب في لف سيقان صغيرتي البضة ، لكن و الحق يُقال لم أرَ نظرة شهوانية في عين أي منهم .. قلت لزوجتي اللحظة الحاسمة صارت قريبة ، إبتسمي فإبنتك سترحل الآن .. قابَلَت كلماتي بعَبرَاتها .. و ملامحها مُعَقدة فلم أعرف أهي سعيدة أم حزينة أم مقهورة .. لا أدري لماذا سُخِرنا لخدمة الإنسان ؟ ما هي العِبرة ؟ أو المغزي من كل هذا ، مئات البنات و الأولاد يُفارقونا يوميًا و لِمّا ؟ كل هذا من أجل الإنسان .. لكن حمدًا لله فنحن لا نسفك الدماء أو نقتل الأطفال .. دعيهم

يأكلوننا حتي يقتلوأ بعضهم ، ربّما إنقرضوا و خُلِدنّا نحن وحدنا علي الأرض وحدنا بدون البشر ، قلتها لنفسي و أنا أمسح دموع زوجتي .. و كما إعتاد الزمان حين تقترب نهاية من نُحِب فإنه يُسرع الخُطي كفرسٍ غاضبة !! شَهر الرجل سكينًا طويلة و لكن لحسن حظ صغيرتي أنها لم ترَ السكين ذات النصل الحاد التي كانت ستؤذي نفسيتها الرقيقة ... و صاح الرجل بسم الله !! و الله سمِعتها و أنّت غنيمتي .. و مزق الرجل كل ما يربط بين رأس حبيبتي و جسدها مثل ما نحِشُ البرسيم الطويل.. البرسيم الطويل .. قُلت ذلك لزوجتي فضحَكت ضِحكة شقية و إنفجرت ضحكًا حتي أن قروني لامست الأرض من النشوة ..قالت لي هل تعرف العادة المُتوارثة في هذه الليلة ؟ قلت لها نعم و هززت رأسي ..

****

-١١-

الأم الصغيرة

نحيلة الجسد لكن شخصية مستبدة ،خطواتها متوترة ، مبادئها راسخة، قصيرة الطول بارعة القوام ، تكره البيت لكنها تحب طفليها ، أطلقت صافرة فأتى الأطفال يزحفون على أربع كل منهم كالكلاب الصغيرة ،يصيحون و يقفزون ، جياعًا كانوا ، طلبوا منها الطعام لم ترد ؛فلا طعام اليوم يا رفاق ، عضها الأكبر في فخذها منتزعًا قطعة صغيرة ملئ فمه الصغير و بدأ ينهشها في الركن البعيد بعيدًا عن نظرات أخيه الصارخة ، كان في حاجة إلى الرضاعة ففتح فمه و أشار إليها فأعتطه ثديها الأيسر فأعتصرته أنيابه ، دخل طائر السرطان من النافذة هابطًا على كتفها بمخالبه .... ابتسمت الأم ..و نظرت للأولاد في ثبات ..فتعالت ضحكاتهم .. قرر السرطان المنكمش الوقوف على رأس الأم لينهش شعرها الأسود مزيلًا لونه حالك السواد .... تعالى ضحك الأطفال.. لكنهم مازالوا جوعي فتحت الأم قبرها و قالت سيأتي لكم أحدهم حالًا بالطعام و قفزت في القبر ، و طار طائر السرطان الأسود من النافذة ، فبكى الأطفال ...

****

-١٢-

الموناليزا

صاحت بكل قسوة ، السماء تسد أذنيها من تلك الصرخة التي أصابتها بالصمم .. و كان الوغد ينطلق يُمزق الزحام بدراجته الكبيرة ذات السرعات المتعددة ، بدأت أعدو خلفه و إنطلقت بجناحين لم يرهما أحد غيري لكنه كان سريعًا كالفهد ، الفهد الأسود قلبه ، ذبح الشاه المسكينة و إنطلق يُعربد في الأرض .. أصابتني خيبة الأمل ؛ فشلت في الإمساك بهذا اللص البارع ، نحيف لكنه قوي البنية ، قررت العودة للمسكينة التي بكت لصراخها السحب في السماء .. علي الأرض تسقي الثري بدمائها التي سالت من وجهها الأبيض و نبت من الأرض الكثيرين ممن سَمِعوا نحيبها كأنما أحيت أرواحهم بالحياة التي تنبض في دمائها ،و هذا الوجه الذي صار أقرب إلي وجه ملاك قبيح مُغطي بالطين و قطرات المطر المنهمر من عيناها شكلت نهرًا صغيرًا علي وجهها تمنيت الغرق فيه .. قلت لهم هرب ذلك المجرم .. هل أنتي بخير ؟؟ أجابتني بصوت نحيب بكاء مكتوم نظرة جريحة خرجت من عيناها فجرحت مقلتاي فصرت أبكي لكن بدون صوت .. قال لي أحد الواقفين هي بكماء لن تسمعك .. يال الكفر في هذا العالم ! هل يسرق أحدهم بكماء ؟ ما هذا الجحيم الذي سقط علي العالم ..كل يوم كنت أبني وجهة نظر مختلفة عن هذا الزمان لكن لم أتوقع أن تتشوه نظرتي للحياة بهذه الطريقة ،، صرت جريحا من الداخل إنتابتني كل مشاعر الألم التي لم أعرفها من قبل ، طفلة بكماء ساقطة علي وجهها الدامي في التراب لا تستطيع أن تحكي شيئا سوى بيدين و بعض حروف موسيقية أطلقتها من حنجرتها لكن دون أن يفهم أحد المشاهدين .. نعم كلنا مُشاهدين لا يوجد بطل بيننا ..ما وجه البطولة في أن تغسل وجه طفلة بزجاجة من الماء ؟ أنا أبكي و غيري يضحك و أخر يدعو علي اللص و أخر توقف ليربط حذاؤه فشاهدنا فنظر و مضي في طريقه مع الماضيين .. وقفت معها وحدنا و ثالثنا الشتاء قلت لها أين بيتك ؟ لم ترد .. أين تعيشين ؟؟ الصمت أيها السادة .. كم هو جميل هذا الوجه الذي لا يفهم كلام البشر !! رفعت كفها أمام وجهي تمنيت أن أقبله كم هو جميل لكنه ممتليء بالتراب .. ضحكت كثيرًا أنا مازلت حيًا أُقدِرٌ الجمال حين أراه حتي لو بكماء .. رفعت كفها الأخري و بدأت تُخط في يديها إنها توصف الطريق .. تكتب لي العنوان .. لا يوجد الكثير من الشوارع تحمل نفس الإسم إنها تسكن في نفس الشارع .. ربما كانت معي في نفس البيت و عندها يكون

القدر قد عزف لي أجمل لحن علي قيثارته .. بدأت أكتب لها إسم الشارع في يدي فهزّت رأسها أن هوالشارع فعلًا .. سئلتها عن حقيبتها فأشارت لي إلي إحدي محلات الحلوى الصغيرة .. كَتَبتُ حلوى ؟ هزّت رأسها .. كم هو أحمق هذا اللص أتمني أن أري وجه الأحمق حين يفتح تلك الحقيبة و يجد بداخلها قضبان الشيكولاته و العصائر .. فيموت بإرتفاع نسبة السكر في الدم ..

****

-١٣-

الرسام الصغير

بدأ في نفخ الشموع التي ذرعها أحدهم فوق كعكة عيد ميلاده ، و بدأت الهدايا تنهال عليه كالأمطار ، فأخذ يحتضنها جميعًا و ما إن إنصرف آخر المدعوين ، حمل كل ما قطف من شجرة عيد ميلاده إلي فراشه ، ليرى حصيلته .. و كانت بينها حصان خشبي و كرسي موسيقي إذا جلس عليه يعزف أجمل الألحان .. و فراشة صفراء تنطلق لتنشر العطر في غرفته المنخفضة ، لم يجذب حبل فضوله سوى فرشاة و مجموعة ألوان و قماشة بيضاء ، حلّق طائر البهجة عاليًا في فلَكِه الصغير ، و بدأ يضع ألوانه علي القطعة الخشبية فوق الكرسي الموسيقي و الألحان تخلق حوله خيالات تمنى لو أنه إستطاع رسمها من قبل .. لكنه شخص جديد بعد ذكرى ميلاده .. أخرج فرشةً من غلافها البلاستيكي و بدأ يمزجها بالألوان التي إمتزجت سويًا لتخلق لونًا لم يره من قبل .. و مع أول ضربة بفرشاته علي اللوحة ..ظهر أمامه حصان .. فرس عربي .. بنيّ الغُرة ، ذهبيّ الشعر .. لا داعي للحديث علي بطن هذا الحصان لا داعي لذكر الغبار الذي خلفته حوافره في خلفية اللوحة .. أخذ الكرسي يعزف له إيقاع خطوات الحصان التي مزقت سكون الليل و أضائت وجه القمر .. تأمل المشهد و ظهر علي وجهه إبتسامة من الأذن للأذن .. تناول فرشاته التي سقطت من النشوة و السعادة التي طفت فوق سطح قلبه ، و ضرب اللوحة مرة أخرى .. فتعجب لأنه رأي مشهد حلم به كثيرًا نبتت صبار كثيفة الأشواك طويلة الساق تلتف حول قدم الحصان و الحصان جالس مستسلمًا له كل الإستسلام لا تنتصب له شعرة .. حوافره القوية تحتك بالأرض .. يحركها في حركات ترددية ثابتة لها نفس الإيقاع حتي صارت قدمه أنعم و أنعم .. لم تعد لقوامه هيئته الأولي و نبتت الصبار تزحف و تتحرك و تحاصر قدم الفرس بالكامل حتي غطتها تمامًا .. إرتج هلعًا من هول المشهد لأنه أحب الحصان و كان للمشهد نفس التأثير علي الكرسي هو الآخر و لم تخرج منه أي ألحان .. فقرر أن ينهي هذا المشهد السخيف الذي عكر صفاء قلبه .. قرر أن يرسم مشهدًا أخر فبدأ يضرب اللوحة بالفرشاة في مواضع متفرقة ليرى كيف ستفاجئه الفرشاة و الألوان هذه المرة .. فنظر بدقة للبقع التي خلّفها علي اللوحة ليجد أنه لا يستطيع رؤية ما علي اللوحة حتي أنه من الدهشة مشيّ خلف اللوحة و ألقي نظرة فوجد أن وجه لوحته أصبح لوحًا أسودًا من الزجاج لا يترك أي إنعكاسًا للألوان

علي سطحه نظر حوله ليجد المشهد تحول كلهإلي اللون الأسود .. فحزن حزنًا شديدًا فالهدية لم تقض معه ليلة واحدة و أفسدها أصابعه .. أعاد اللوحة إلي لفافتها ، و أعاد الفرشاة إلي غلافها البلاستيكيّ و أخذ ألوانه من علي القطعة الخشبية و أعادها إلي علبتها القديمة و أعاد كل شيء إلي وضعه القديم حتي تبقي الذكرى له وحده.. جلس علي الكرسي الموسيقي و أخذ يستمع إلي المقطوعة الصادرة منه ، لكن حقًا لا يوجد أي صوت ، لم يعد يستمع إلي أي لحن .. قال أن الكرسي تلف فنهض من عليه و مضى إلي فراشه ليفحص باقي الهدايا لكنه تعثر و سقط و سقطت فوقه الأشياء بلا أي جلبة أو أي صوت .. فقرر أن يتعلم الطيران الذي طالما أحبه لكن نبتت الصبار تُمسك قدميه بقسوة لم يشهدها من قبل .. فقفز فجرحت قدمه .. فقفز و قفز ثم قفز فإزداد الجرح عمقًا ، لما لا فقطع قدمه لتبقي بجوار نبتت الصبار .. و ما إن مزقها وجدها تحولت إلي قدم حصان .. لكنه وجد قدمًا أخري تنبت مكانها و ركض فوجد صوت خطواته الواسعة مرتفع جدًا و أصابته نشوي فأخذ يركض و يركض بلا كلل و لم ينل منه العرق .. صار إنسانًا بأربعة أقدام يمشي علي يديه و قدميه .. دخلت عليه أمه الغرفة و أخذت منه العكازين و وضعته في سريره و أطفئت الأنوار لينام لكنه ظل مستيقظًا

****

-١٤-

مازلت حيًا ..

لحسن الحظ لم ألعب دور الكاتب في هذه القصة ولا حتي دور الراوي إن كنت تحاول التخمين فساقول إنني أمارس دورًا فريدًا هو الأول من نوعه .. شخصية غريبة أو شاذة لو جاز التعبير ؛ أجمع بين النقيضين معًا تحت سماء واحدة فيها ليل و نهار واحد أو الحياة و الموت لست أدري فأنا حديث العهد هنا ، ربما تعرف السبب إذا تحملتني حتى جملة الختام و ربما لا .. دعنا ننظر نحو تلك البقعة البنية أسفل منطقة الرؤية ، أسفل أقدامنا و نُمعن النظر ، نحتاج بصيرة صقر أو نسر لا أدري أيهما أحدُ من الآخر .. حتى نتمكن من رؤية هذه الدودة الدقيقة الخضراء الرفيعة .. لو تمكنت من رؤيتها الآن عزيزي القارئ فاسمح لي أن اهنئك لأنك تتمتع بصفة من صفات الآلهة .. انظر إلى الروعة إلى جمال المشهد ، المشهد البديع الذي يأخذ العقل انظر ماذا تفعل ؟!

إنها تشق طريقها بين طيات الثرى تُنقل عن شيئ ما .. انظر شاحبة انهكها الجوع .. نعم نخر الجوع قواها لكنها تثابر للوصول إلى هدفها ، تحفر بقسوة ضارية لتبلغ مرادها .. تمزق طبقات التربة ، تغوص نحو الأعماق لتجد ضالتها التي ستعيد إليها قوتها مرة أخرى تلك الغاية التي حاربت الأرض لتبلغها .. اللون ابيض و ملمس ناعم و رائحة ذكية و مجموعة من الثقوب نعم هي تمامًا كما تري جمجة طفل ... اضطررت ان أتدخل قبل أن ارقد فى العدم ، قبضت على الدودة و ألقيتها بعيدًا حيثما كانت أو أبعد ، فاليوم عيد الطفولة .

****

-١٥-

يسوع

تقفز أمامي عينان جائعتان ، تنظران لي بشراهة .. إبتسمت و نظرت لهما و صافحتهما بنظراتي .. السماء تكره لقائنا فعبرّت عن رفضها التام بوابل من الأمطار خرجت من ثدياها المتكورين فخلقت لنا اجمل ساحة للرقص فتمايل قلبي و العينان و ضربات الأمطار تعزف لنا ألحانًا إلهية .. تتراجع الشمس من المشهد لتحل الغيوم محلها و نحن نرقص و يترل لنا يسوع المسيح من السماء و يدّعي انه قدم نفسه لخلاص البشرية لكنني قاطعته بحدة و قلت له إن أردت أن تخلص تلك العيون من الآسى فعليك بصلبي أولًا ، فبكى يسوع و ربتت على كتفه ، فزال كل ما حولي و لم يبقى سوى الطفل الميت أمام مقدمة حذائي فدفعته جانبًا و واصلت السير..

****